إنتاجنا الفكرى
بين الحربين العالميتين الأولى والثانية
١٩١٤ - ١٩١٨ (١)
١٩٣٩ - ١٩٤٥ (٢)

للأستاذ سامى الكيالى
العضو المراسل بمجمع اللغة العربية بالقاهرة
والأستاذ المحاضر بالمعهد

هذه رسالة بدأت بكتابتها فى أوائل الحرب العالمية الثانية أسجل فيها مدى تطور الانتاج الفكرى على ضوء ما كانت تقذفه المطابع من كتب..

كتبت قسما منها ثم أهملتها حين وضعت الحرب أوزارها . وقد مرت الأيام والسنون فنسيتها . . وبينما كنت أبحث فى أدراج مكتبى عن بعض أوراق وقصاصات إذ عثرت عليها . . فتركت ما كنت أبحث عنه وبدأت أقرأ بعض صفحاتها وإذا بى إزاء صور متباينة كل التباين بين انتاجنا الفكرى بالأمس القريب وإنتاجنا اليوم .

كان الانتاج الفكرى لا يتعدى فى السنوات التى أعقبت الحرب الأولى الخمسين كتاباً فى العام الواحد وإذ به يربو بعد الحرب العالمية الثانية على الألفين

ولهذا رأيت من الفائدة نشرها كما كتبت بدون تحوير ؛ فقد يرى فيها المؤرخون والمعنيون بالانتاج الفكرى وميض فائدة .

س . ك

---

(١) الحرب الكونية التى نشبت بين ألمانيا وحلفائها النمسا والمجر وبلغاريا والدولة العثمانية وبين الحلفاء وهم فرنسا ، بلجيكا ، انكلترا ، إيطاليا ، روسيا ، البرتغال ، سربيا ، رومانيا ، ثم بعد سنة ١٩١٧ الولايات المتحدة . وكان الانتصار للحلفاء .

(٢) نشبت بين بولونيا وفرنسا وبريطانيا ، ثم روسيا (١٩٤١) والولايات المتحدة =

حين اندلعت نيران الحرب فى أوربا ـ الحرب العالمية الثانيـــة التى يروق لبعض الكتاب والسياسيين أن يسموها (الحرب الهتلرية) أو (حرب الديكتاتوريات على الديموقراطيات) ـ حين تطايرت أول شرارة من سماء برلين متجهة نحو بولونيا فى اليوم الأول من شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٩ تساءل الأدباء فى كل قطر من أقطار الدنيا عن مصير الانتاج الفكرى .

هل سيظل على حاله أم سيتناقص أم سيتوقف تماماً ؟

إذ لا أحد ينكر أن للحروب أثرها فى الحد من نشاط الفكر .

وتساءل أدباء العرب ، وتساءلت دور النشر أيضاً بسبب فقدان المواد الأساسية للطبع وأهمها الورق .. ولا سيما وليس فى البلدان العربية كلها معمل واحد لإنتاج الورق(١) وجميع الطابعين والناشرين وأصحاب الصحف يجلبون

= « ١٩٤١ » والصين من جهة ، وألمانيا وإيطاليا مع دول أوربا الوسطى و المجر رومانيا ، لغاريا . يوغوسلافيا ، ثم اليابان (١٩٤١) انتهت بهزيمة ألمانيا وإيطاليا واليابان .

(١) .. إذا كان الصابون معياراً للحضارة المادية ، فان الكاغدهو معيار الحضارة الثقافية العقلية . فكلما استهلكت أمة كمية أوفر من الكاغد إلا وكانت أعظم ثقافة وحضارة . إن الفضل فى اختراع الكاغد راجع إلى الصين لكن انتشاره بالغرب — أوربا — راجع إلى العرب بلا مدافع . وقصة الكاغد هى أن القبائل الضاربة على حدود الدولة الساسانية بايران فى أوائل القرن الثامن للميلاد طلبت حماية الصين فحصلت بذلك مركزاً ممتازاً انفردت به دون غيرها ، وظهر القائد أبو مسلم الخراسانى على المسرح فلم يستطع غض الطرف عن ذلك وهو الممثل للدولة العباسية ، فشن حملة بإذن من الوالى زيادبن صالح أمير سمرقند ، وانتصر على أعدائه فى شهر يوليو (تموز) سنة ٧٥١م . وتمكن من عدد كبير من الأسرى ، فنقلوا من حدود الصين إلى أعظم مدائن الخلافة العباسية . وهذه المعلومات التاريخية التى رواها مؤرخو العرب تطابق مارواه ايضاً مؤرخو الصين ؛ فان المؤرخ الصينى (شو) ذكر أنه فى الشهر السابع من سنة ٧٥١ م افكسر المارشال (كاوهسيافا) الذى أصله من كوريا فى وقعة ضد العرب جرت بكانفل على نخوم نهر طراز .. وسرعان ماانتشرت صناعة الكاغد بين المنتصرين ، وبلغت مبلغاً عظيماً من النموخصوصاً بخراسان تحت رعاية الفضل الوالى الذى ولاه هارون الرشيد سنة ٧٩٤م .

وانتقل الكاغد إلى القيروان حيث نجده ونجد نماذج منه فى آخر أيام الأغالبة ، ثم التحق بمدينة شاطبة بالأندلس فى نفس الوقت أى فى القرن العاشر الميلادى ، وظهر الكاغد بطايطلة فى القرن الحادى عشر الميلادى حيث بقيت إلى الآن نماذج منه ، وتوجد نماذج من القرن الثانى عشر بسنتى ١١٦٦ و ١١٦٨ . =

كافة مواد الطباعة من مختلف مدن الغرب . فإذا طال أمد هذه الحرب ، فقد يقف الانتاج الفكرى بالمرة . ولا نجانف الحقيقة حين نقول . وقد مر على هذه الحرب ثمانية عشر شهراً - إن الانتاج الأدبى فى البلاد العربية قد تناقص بشكل هائل ، ووقفت المطابع أو كادت عن إصدار الكتب ، واقتصرت الطباعة على الصحف اليومية والمجلات الدورية . . وقلما تقذف المطابع كتاباً إلا ماندر . . أو ما كان ورقه محتفظاً به قبيل الحرب .

وقد تفاقمت أزمة الورق تفاقماً دعا السلطات إلى إصدار قرارات تحد بموجبها إصدار الصحف اليومية بصفحات معينة وأيام محدودة .

ففى لندن مثلا فرض على صحفها أن تصدر ثلاثة أيام فى الاسبوع بأربع صفحات وثلاثة أيام بست صفحات واليوم السابع بعشر صفحات اقتصاداً بالورق.

وخضعت الصحف فى فرنسا لمثل هذه القيود ، كما خضعت لهذه القيود أيضاً أكثر الصحف فى العواصم الأوربية .

* * *

= ودخل الكاغد فرنسا فى القرن الرابع عشر بمدينة أبنون، أما بصقلية فتروى دائرة المعارف الإيطالية أن أول وثيقة من الكاغد الصقلى هى المحفوظة بخزانة أوراق بلدته (بالرم) ، وهى مرسوم أصدرته الملكة اديلابيد بالعربية واليونانية سنة ١١٥٨ . إذا قابلنا هذا النص وهذا الكاغد لكتاب شرح المفضليات للخطيب التبريزى الموجود بخطه بدار الكتب الوطنية بتونس والمؤرخ سنة ١١٠٨ وجدنا الكاغد مطابق فى نوعه وحجمه، والخط العربى يطابق خطوط ذلك العصر المعروفة بالسلسلة . لكن الكاغد دخل صقلية قبل هذا التاريخ ولاشك ، ويغلب على الظن أنه من صنع القطن لانتشار هذا النبات بصقلية وإيطاليا لاسيما على عهد الامبراطور فريدريك. ولم يذكر الشريف الادريسى معامل الكاغد بصقلية ، كما أنه لم يذكر أن صقلية كانت تستورده ، ونحن نعلم أن كميات الكاغد المستعملة هى ضخمة جداً ، فلذلك لابد أن الكاغد كان يصنع بصقلية كما رجى (أمارى) فى كتابه «تاريخ مسلمى صقلية» .

أضف إلى ذلك أن بعض القيراونيين الف للمعز بن باديس الصحفاجى كتاب « عمدة الكتاب فى صناعة الكاغد والمداد ، وفى مهنة التجليد » وإن الصناعة كانت منتشرة حتى عند النساء اللواتى يصنعن مدخر الكاغد السنوى لأزواجهن الكتاب.

[الحضارة العربية فى حوض البحر الأبيض المتوسط لعثمان الكعاك ص ٨٧]

وفى سورية ولبنان حددت صفحات الصحف بصفحتين مع أنها كانت تصدر بثمانى صفحات من القطع الكبير . . وكان بعضها يصدر فى عشر صفحات أو أكثر . .

ورأينا (الأهرام) فى مصر ، وهى أوسع جرائد الشرق العربى وأغناها تصدر فى ست صفحات بعد أن كانت تصدر فى ست عشرة صفحة كبيرة ، إلى إصدارها اعداداً خاصة ، أحياناً فى أربع وستين صفحة . .

ورأينا أكثر المجلات تصدر بنصف حجمها أيضاً . . وذلك تنفيذاً لأمر الحاكم العسكرى فى مصر الذى أصدر قراراً فى ١٤ أبريل - نيسان سنة ١٩٤٢ جاء فيه :

« . . إنه لا يجوز إصدار الجرائد اليومية إلا فى أربع صفحات دون أن تصحبها ملاحق أو أن تشتمل على نشرات أو أية أوراق مطبوعة ترفق بها أو تحشر بين صفحاتها ، ومع ذلك فيجوز لها فى كل شهر نشر عشر صفحات إضافية تختار أيامها كيف تشاء » .

* * *

وقد عانى هذه الأزمة الكتاب الأوربيون أنفسهم ؛ لأن معامل الورق فى الغرب كأكثر معامل الصناعة قد تحولت إلى معامل حربية لإنتاج القنابل المحرقة والمتفجرة . وإنتاج المدافع وقاذفات القنابل والطيارات والغواصات والمدمرات وما إليها من وسائل الهلاك والموت .

أضف إلى ذلك تقييد حرية النشر وحرية الفكر ، وانصراف الناس عن تلاوة الكتب إلى تتبع أنباء القتال وسير الحرب .

ففى الحرب العالمية الأولى مثلا تناقصت حركة النشر تناقصاً محسوساً ؛ فقد ذكرت إحدى المجلات الانكليزية (إن عدد الكتب التى نشرت فى بريطانيا سنة ١٩١٣ كان ١٢٣٧٩ ثم صارت فى سنة ١٩١٤ ثمانية آلاف فقط ، ثم تناقصت إلى ٦٦٠٦ فى عام ١٩١٧)

* * *

وهذه الحرب تختلف كل الاختلاف عن الحرب الماضية . .

وليس ببعيد ، إذا طال أمدها ، أن تقف حركة النشر بالمرة .. على أن توقف النشر لا يعنى توقف الأدباء والشعراء والمفكرين عن التدوين .

وكما أعقبت الحرب الماضية فورة عامة من الانتاج فى مختلف ميادين الثقافة . فسيعقب هذه الحرب الثانية فورة أعم .. نتيجة لهذه الأحداث الخطيرة التى مرت على البشرية فى هذه الحرب مما لم يكن فى حسبان أحد بل مما دق فهمه حتى على أقدر الساسة وأعظم القواد .

فقد دُكت صروح ، واخترقت حصون ، وانهارت ممالك ، وتلاشت أمم فى أيام وشهور مما لم يرو التاريخ نظيره لا فى القديم ولا فى العصور القريبة المدى من عصرنا هذا . .

إن رجال الفكر اليوم ، فى كل بقعة من بقاع الدنيا ، قد قبعوا فى منازلهم ، بعيدين ، إلى حد ما عن هذه الصراعات ـ عن نزاع الأمم ، وتطاحن الدول ـ يتأملون فى هدأة من السكون والوجل ، أحداث هذه الحرب ومفاجآتها غير المنتظرة ، ويتساءلون متى تقف المدافع عن إطلاق حممها ، وتكف أسراب الطائرات عن قذف قنابلها ، والغواصات والنسافات والمدمرات عن رمى طرابيدها وبراكينها المحرقة المدمرة الداوية ، ويعود العالم إلى فيض سعادته وفردوس أمنه وسلامه ، ليعود الفكر إلى إبداعه وإشعاعه . .

وما دام الانتاج الفكرى فى مختلف أقطار الغرب قد توقف أو كاد . فبديهى أن يتوقف الأدباء عن الانتاج ، أو عن النشر ، إذا أردنا الدقة ، إلى أن تنجلى هذه الكارثة التى تهدد الحضارة فى الصميم . .

* * *

إن الفكر العربى سيأخذ غير الاتجاه الذى سار عليه بعد الحرب الأولى ، فى اتجاه جديد لا نعلم لونه . . أى أن أدبنا سيساير الاتجاهات العالمية فى سيرها الفكرى المطرد ، كما سايرها فى هذه الفترة التى أعقبت الحرب الكبرى .. فما لون هذه الفترة من تاريخنا الأدبى؟

الواقع ، أن نهضتنا الفكرية حفلت بمختلف التيارات الأدبية ، والاتجاهات الاجتماعية ، فصدرت مؤلفات فى الأدب والتاريخ ، وفى الشعر والنثر فى القصة والرواية ، فى العلم والفلسفة ، فى الفن والنقد . ونشرت كتب قديمة قيمة ، ومخطوطات ثمينة ، كما ترجم عن اللغات الأجنبية مختلف الكتب ، وعرفت العربية بعض المؤلفات فى علمى الطب والحقوق وغير ذلك مما يعطى هذه الفترة لوناً من ألوان البعث الفكرى فى مطلع القرن العشرين ..

* * *

هذه الحركة الفكرية التى مرت من تاريخنا الأدبى خلال العشرين عاما المنصرمة أى منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى بدء الحرب العالمية الثانية . هى التى حفزتنى أن أكتب هذه الرسالة أستعرض فيها إنتاجنا الفكرى على ضوء ماصدر من كتب ومؤلفات ، على أن ألمح إلى الإنتاج دون أن أخصه بقطر دون آخر ، لأن اليقظة الفكرية كانت عامة فى جميع أقطار الشرق العربى ، وإن كانت مصر هى أسبق الأقطار العربية فى هذا المضمار ..

* * *

ولكى أرسم صورة صادقة لسير الحركة الفكرية سأشير إلى الكتب التى صدرت عاماً بعد عام .. وبذلك يقف القارىء على تطور النهضة الفكرية فى الشرق العربى ومدى تأثرها بثقافة الغرب .

كما يقف على مدى ما أصاب نهضتنا من رجعية وانتكاس ، وكيف أن الحركة الفكرية قد تجاذبتها عدة عوامل أهمها هذه الحرب الطويلة التى ثارت بين أنصار القديم وأنصار الحديث ، والتى انتهت عند هذه الهدنة الطويلة التى تتيح لكل فريق

ان يعمل فى جوّه وبيئته ، ويترك للزمن أن يثبت أية فكرة هى الأصلح والأنسب للبقاء — أى لتطور الأمة ورقيها العقلى .

وهكذا ، فنى عرضنا للمؤلفات التى صدرت خلال هذه الفترة الطويلة سنمر بهذه الألوان من حياتنا الفكرية ، وبذلك نكون سجلنا صورة صادقة من تاريخنا الأدبى الذى أصبح ملك التاريخ .

* * *

١٩١٨ — ١٩١٩

عندما وضعت الحرب الكبرى أوزارها سنة ١٩١٨ تطلع الأدباء فى البلاد العربية إلى وادى النيل وإلى المهجر الأمريكى ليروا مدى ما أنتجه الأدباء المصريون وأدباء المهجر خلال سنوات الحرب حيث أقيمت حواجز منيعة بين قسم من البلدان العربية من سيناء حتى أقصى بلاد الرافدين — أى بينها وبين مصر والمهجر ..

فمهدهم بالإنتاج الأدبى كان حول هذه المؤلفات التى تركها الشميّل والكواكبى وفتحى زغلول ، وقاسم أمين ، ومحمد فريد وجدى ، ومحمد لطفى جمعه ، والمنفلوطى ، ويعقوب صرّوف ، وجرجى زيدان ، وشوقى ، وحافظ ، والمطران وجبران والريحانى ، ونعيمة وغيرهم وغيرهم .. تطلع أدباء العرب وأدباء الشباب بصورة خاصة ليروا ما أنتجته القرائح خلال الحرب الماضية ..

وها لهم أن لا يروا محصولا جديداً ..

فقد توقف الإنتاج بالمرة ، ولم تصدر غير كتب محدودة لعل أظهرها كتاب ذكرى أبى العلاء .. للدكتور طه حسين الذى صدر خلال الحرب ..

ولم تكد تغيب سنة ١٩١٨ فى أحشاء الزمن حتى تركت لنا زاداً أدبياً لا يشبع جوع النفس العربية ولا يروى ظمأها . فقد صدر الجزء الأول من كتاب « أصل الأنواع » لداروين مترجماً بقلم اسماعيل مظهر ، والمؤلف يؤيد النظرية التى

تقول أن الأنواع الحيـــة من نبات وحيوان متسلسل بعضها من بعض ، وأن الانتخاب الطبيعى وحفظ الصنوف الغالبة فى التناحر على البقاء وما يعضد ذلك من السنن الأخرى ، كالوراثة والرجعى وتأثير الظروف الخارجية والاستعداد للتغاير وغيرها نواميس طبيعية تؤثر فى الأحياء تأثيراً يسوقها إلى قبول التغاير والانحراف عن صفات أصولها على مر الزمان انحرافاً مهما اتضع شأنه ونزل قدره ؛ فالانتخاب الطبيعى على تلاحق الدهور لا محالة مفرق بين صورها العديدة بما يستجمعه من تلك التغايرات الفردية فى الأصول الغالبة ، مثبتاً بذلك أن الأنواع مهما كان تباينها فى هذا العصر ، فإنها ترجع فى حلقات التسلسل إلى أصول أولية تحولت عنها باستمرار التغاير .

وقد أحدث ترجمة هذا الكتاب ضجة ذات صلة بكتاب الدكتور شبلى شميل الذى كان قد شرح المذهب مفصلا بكتابه (فلسفة النشوء والارتقاء) .. وكان رأى الناقدين أنه ثورة على القيم الروحية . ودعم للمادية التى تنكر الأديان وتمهد للإلحاد . . ومن جهة ثانية ذهب البعض إلى أن نقل الكتاب إلى العربية لا يفيد إلا شخصاً من اثنين : فإما شخصاً يعرف لغة من اللغات الأجنبية ، وهذا فى مستطاعه أن يقرأ الكتاب فى لغته الأصلية . وإما شخصاً لا يعرف لغة ما غير العربية ، وهذا لا يعنى بدرس الكتاب لأمرين : لأنه بعيد عن مجاله الذى قصر نفسه عليه ، والثانى لأنه لا يستفيد من الكتاب .

كما صدر ديوان « الكواكب » لجبران خليل جبران ، ومضمونه ، كما قالت عنه الآنسة مى ، مراحل نفسية استقرت صورها فى منظوم ومرسوم ، وبينت فيه ، كما فى كتاب « المجنون » ، تأثير نيتشه ، وإن كانت بسمة التهكم الفنى الدقيق التى رأيتها عند جبران لن تشبه أبداً ضحكة نيتشه ذات الجلبة الضخمة المضحكة . .

ونشر المستشرق الإيطالى الدكتور ا . غريفنى أستاذ اللغة العربية فى جامعة ميلان فى إيطاليا قصيدة « قدم بن قادم » الذى يتصل نسبه بيعرب بن قحطان الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهى تعد من أقدم القصائد العربية .

ثمة بعض كتب ورسائل وقصص غير جديرة بالتنويه .

على أن بعض القرائح قد تأثرت بحوادث الحرب فأصدر أسعد خليل داغر ديواناً شعرياً تضمن « تاريخ الحرب الكبرى » وهذا التأريخ مؤلف من ألف وخمسمائة بيت وصف أشهر المعارك التى نشبت فى البلجيك وفرنسا وروسيا وإيطاليا والبلقان والدردنيل وغاليبولى والقوقاس والعراق وشبه جزيرة سينا وسورية وغيرها .. وصدّر كل معركة بخلاصة تاريخية تشرح للقارىء كل مايود أن يعرفه ، ووضع مقدمة طويلة للديوان أشار فيها إلى ما امتازت به هذه الحرب عما سبقها من الحروب وما شاهده العالم فيها من الكوارث والفظائع ومايتوقعونه لها من نتائج .

وما أظن أن شاعراً من شعرائنا المعاصرين خطر له أن ينظم وقائع هذه الحرب ومفاجئاتها بملحمة كملحمة أسعد خليل داغر ، ولا نستطيع أن نسميها ملحمة ، فنازع الشعر فى يومنا هذا أخذت غير منزعها الذى كانت عليه قبل عشرين عاماً ، وإن صدرت عدة قصائد لكثيرين وصفوا أهوال الحرب لا تاريخها وتاريخ وقائعها . . وقد تأثر الشاعر بترجمة سليمان البستانى لإلياذة هوميروس شعراً فسار على غراره .

وصدر للدكتور سليم شحاده ، وهو من أدباء المهجر كتاب « الحرب الكبيرة » وآخر بعنوان « لبنان بعد الحرب » ، وأصدر الخورى أنطوان يمين اللبنانى كتاب « لبنان بعد الحرب » تناولت فصوله ذكرى الحوادث والمظالم التى قاساها لبنان أثناء الحرب (١٩١٤ — ١٩١٩) .

كما صدرت خلال تلك السنوات العجاف ، عدة كتب لها علاقة بتلك المجزرة العالمية ككتاب « تاريخ الحرب الكبرى » وهو سبع رسائل متوالية أصدرتها جريدة « المقطم » حذت فيه حذو جريدة « التيمس » فى تاريخها الحربى المشهور .

وترجم الأستاذ إميل زيدان كتاب « الحرب الأوربية » لغوستاف لوبون ويتناول أسباب الحرب ونتائجها ، والكتاب مجموعة أبحاث بسيكولوجية قيمة .

ونشر الدكتور محمود عزمى رسالة بعنوان « ما بعد الحرب » وهى محاضرة

اقتصادية شرح فيها الأساليب التى تعمل بها ألمانيا لاسترداد مجدها المالى والصناعى .

ونشرت ترجمة « رسالة لختوفسكى » سفير ألمانيا فى انكلترا تضمنت أدلة بارزة تثبت أن مسئولية تلك المجزرة البشرية تقع على عاتق حكومته .. وصدرت الرسالة أولا كملحق لجريدة « المقطم » ثم أصدرتها جريدة « وادى النيل » فى كراسة مستقلة ..

ويلاحظ القراء أن أكثر الكتب التى صدرت عن الحرب الكبرى هى بأقلام أدباء لبنانيين ، وسبب ذلك أن لبنان هو القطر العربى الوحيد ، الذى ذاق ويلات تلك الحرب بسبب المجاعة التى انتشرت فى ربوعه .

لقد مرّ عام ١٩١٩ دون أن تنتج المطبعة العربية أثراً أدبيا يُذكر .. فهل كان العام الذى تلاه أكثر خصباً ؟

سنرى . . .

° * °

١٩٢٠ — ١٩٢١

... لا شك أن غير واحد من الأدباء كانوا يعملون خلال سنوات الحرب بنشاط .. وأنهم كانوا يرقبون اليوم الذى تنتهى فيه أزمة النشر ليتقدموا إلى القراء بثمرات قرائحهم ..

وقد تقدم الأستاذ أحمد حسن الزيات بنشر رواية « آلام فرتر » للشاعر الألمانى العظيم « غوته » فقوبلت من القراء ، ومن الأدباء بكثير من الترحاب لقيمتها الأدبية أولا . ولأسلوب المترجم ثانياً . وقد أشار الدكتور طه حسين إلى هذه الناحية فى مقدمة الرواية بعد أن تكلم عن حاجة العربية إلى النقل والترجمة والاطلاع على ما تنتجه الشعوب ومهمة المترجم إزاءها فقال :

« لقد وفق صديقنا الزيات إلى هذا كله حين نقل إلى العربية « آلام فرتر » للشاعر الفيلسوف جوته . وفق إلى حسن الاختيار ، ووفق إلى حسن الترجمة أيضا على ما كان يعترضه فى ذلك من المصاعب والعقبات ، فإن « آلام فرتر » ليست من السهولة واليسر بحيث يستطيع القارىء أن يفهمها لأول قراءة بتلك القدرة على نقلها وترجمتها ، ذلك لأنها صورة نفس كبيرة دقيقة الحس والعاطفة ، هى نفس « جوته » ولأن فيها من دقيق الوصف الحسى من جهة ، والآراء الفلسفية من جهة أخرى ، ما يعسر فهمه والوقوف عليه. أضف إلى ذلك أن اللغة العربية لم تألف هذا النوع من الوصف والفلسفة ، لأن أبناءها لم يسلكوا بها هذا الطريق » .

وصدرت قصة « فى سبيل التاج » لفرانسوا كوبية نقلها مصطفى لطفى المنفلوطى عن الأفرنسية بتصرف ، وهى « مأساة تمثيلية » وضعها المؤلف سنة ١٨٩٥ وأراد أن يجارى بها عميدى الشعر التمثيلى فى القرن السابع عشر كورنى وراين . وهى رواية أخلاقية بطلها فتى تعارضت فيه عاطفتان قويتان : حبّ الأسرة وحب الوطن فضحى بالأولى فداءً للثانية ، ثم ضحى بحياته فداءً لشرف الأسرة ، وقد تناول المنفلوطى هذه المأساة وصاغها فى قالب روائى جميل بعد أن أضاف إليها أشياء وحذف منها أخرى ، وأخرجها لقراء العربية قصة يستهوى أسلوبها القلوب ، ومع أن الرواية ملخصة تلخيصاً فقد استطاع الكاتب بمهارة فائقة أن يصور الروح الأصلية للمؤلف تصويراً مؤثراً[1] .

وقد أخذ النقاد على المنفلوطى نقله الآثار الأجنبية دون معرفته لغاتها.. وكان يشفع له جمال أسلوبه واستيعابه لروح الفكرة ولهيكل القصة .. ولا تزال كتبه والقصص التى ترجمها مقروءة بلذة وشغف لدى طبقات كثيرة من الطلاب والمتأدبين والأدباء الذين يلذهم جمال الأسلوب وإشراق الديباجة .

* * *

(١) حسن الشريف : الهلال المجلد ٣٨ ص ١٠٤ .

على أن أظهر الكتب الأدبية التى صدرت خلال هذا العام هو كتاب « صحف مختارة من الشعر التمثيلى » للدكتور طه حسين الذى أراد من نشره أن يوجه العقل العربى إلى دراسة الأدب اليونانى ، لما للفكر اليونانى والأدب الأغارقة وفلسفتهم من الأثر فى الحضارة والأدب .. ولكن الكتاب لم يلق الرواج الذى يستحقه ؛ لأن قراء العربية لم يكونوا مهيئين لأن يذوقوا هذا اللون من الأدب ، وكانوا فى شوق إلى قراءة هذه الدراسات التى تجلو لهم صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامى بصورة عامة والتاريخ العربى بصورة خاصة . . أما أن يرجع بها الكتّاب إلى أغوار الأساطير فهذا مالم تهضمه عقلياتهم ! .

° ° °

ونشر المستشرق الكونت دى جلارزا المحاضرات التى ألقاها فى الجامعة المصرية خلال السنة الدراسية (١٩١٨ — ١٩١٩) بعنوان « محاضرات الفلسفة العامة وتاريخها ، والفلسفة العربية وعلم الأخلاق » وتضمنت المحاضرات ثلاثة أقسام : ١ — قسم الفلسفة العامة وتاريخها ، وهو يشمل الكلام على مذهب هوبس وديكارت وباسكال وكاسندى من أهل القرن السابع عشر . ٢ — قسم الفلسفة العربية ويشمل الكلام على الفارابى وابن مسكويه . ٣ — قسم على الأخلاق وفيه بيان لمذهب بتلر فى الحكمة العربية ..

وظلّ نشر هذا الكتاب ، رغم قيمته ، فى نطاق محدود ، لم يفد منه إلا طلاب الجامعة وبعض الأساتذة المهتمين بتاريخ الفلسفة ..

° ° °

وأصدرت الآنسة « مىّ » كتاباً عن « باحثة البادية » درست فيه حياة الكاتبة الأديبة ملك حفنى ناصف من جميع النواحى : امرأة ومسلمة ومصرية ، وكاتبة ،

وناقدة ، ومصلحة ، مستشهدة بأقوالها ، شارحة لمعانيها . معللة لأفكارها . معلقة على آرائها بأسلوب غاية فى الدقة . .

ومع أن كثيرين كتبوا عن هذه الأديبة المصرية التى ماتت فى فجر صباها فلم يوفق كاتب إلى ماوفقت إليه الآنسة «مى» . والسر فى ذلك أن المرأة أعرف بطوية المرأة من الرجل .. ولاسيما إذا كانت أديبة شاعرة تكتب عن أديبة شاعرة .

كما صدر لجبران خليل جبران «الأجنحة المتكسرة» و «عرائس المروج» و «العواصف» و «الأرواح المتمردة» — وبعضها كتب قبل الحرب وأعيد طبعها ..

ونشر الأستاذ أنيس الخورى المقدسى خلاصة دروسه الأدبية فى الجامعة الأمريكية فى بيروت بعنوان «الدول العربية وآدابها» . .

ونشر الأستاذ نقولا حداد رواية «حواء الجديدة» . وهى رواية ذات مغزى اجتماعى تدافع عن المرأة دفاعاً حاراً ، وتجعل الرجل كالمرأة مسئولين عن الإثم إذا ما اقترفاه !..

وصدر الجزء الثانى من ديوان إيليا أبو ماضى أرق شعراء المهجر وأغزرهم مادة وأنفذهم فلسفة فى إدراك حقائق الحياة وأسرار الكون . .

وصدر لحليم دموس ديوان جمع بين الشئون الاجتماعية والإخوانيات .

وأصدر الأستاذ عبد الفتاح عبادة رسالة عن «نهضة المرأة المصرية» . وفى عالم المرأة أصدر الأستاذ جرجى نقولا باز ، وعرف بانتصاره للمرأة كتاب «النسائيات» اشتمل على كل مايهم طبيعة المرأة وسبل تقدمها . .

وترجم الدكتور أحمد زكى قصة « مرغريت أو ذات الكاميليا » لاسكندر دوماس، وقد لقيت كل رواج وترحيب ؛ لأن الترجمة كانت صادقة، والأسلوب فى غاية الجزالة والإشراق(١) .

---

(١) لترجمة هذه القصة قصة تتصل بالتمثيل العربى ، فلم أكد أكتب كلمة عن هذه الترجمة فى مجلتى « الحديث » حتى كتب إلى العلامة الشيخ عبد القادر المغربى رسالة يبين لى فيها أنه أول من ترجمها .. وكان ذلك سنة ١٩٠٨ حين كان فى مصر . وقد ترجمها باسم «النجم الآفل» ومثلها الشيخ سلامه حجازى . وأترك للأستاذ المغربى ، عضو المجامع العلمية يقص هذه القصة الطريفة :

« .. رحلت إلى مصر فى أول صيف سنة ١٩٠٥ وكان الداعى إلى هذه الرحلة الهرب من التهم السياسية الحميدية من جهة ، ومن جهة أخرى كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده المفتى إذ ذاك فى مصر دعانى لأن أكون كاتب فتوى لديه .. وقدم بذلك طلباً إلى الحكومة المصرية لكننى بعد وصولى إلى مصر نحو عشرين يوماً توفى الإمام ولم يعد فى الإمكان تعيينى فى الوظيفة المذكورة ولا غيرها من الوظائف الحكومية المصرية ما دمت غير مصرى فاضطررت إلى الاشتغال فى الصحافة على غير سابق اشتغال فيها ولكن قبل ممارسة العمل الصحفى فكرت أن أعيد الكرة على ما كنت تعلمته من اللغة الأفرنسية فى عهد صباى فأستعين بهذه اللغة على ما أنا بسبيله من عمل الجديد فأقبلت على الدرس أيما إقبال . واتفق إذ ذاك أن لقيت شاباً من بلدى طرابلس الشام هو « أميل أفندى شيطينى » الموظف بمصلحة الكهرباء ، وكان له حذق باللغة الأفرنسية فاقترح على أن نترجم معاً رواية « لادام أو كاميليا » وقال إن هذه الرواية من خيرة الروايات التمثيلية ، ولم تمثل بعد على المراسح العربية » وأن الشيخ سلامة حجازى زعيم النهضة التمثيلية يومئذ وصاحب دار التمثيل العربى يرحب بالترجمة الجديدة ويكافأ عليها أجزل مكافأة . عدا أن فى ترجمتها تمرناً على اللغة الأفرنسية وحذق الفصيح من كلماتها والبليغ من أساليبها . فأجبته إلى اقتراحه واخترنا أن نجتمع على العمل فى منتصف النهار وقت فراغه من شغل وظيفته . فكنا نأوى إلى مغارة حديقة الأزبكية — وهى مغارة صناعية غاية فى الجمال وتقليد الطبيعة — ، ونلجأ الى رطوبتها من حر الهاجرة .. وهكذا كنا نقضى كل يوم ساعتين أو أكثر فى الترجمة . وكنا أحياناً نسأم العمل فنتلهى بوصف المغارة التى نحن فيها ولطافة رطوبتها من حيث تذكرنا بمغارة « كليبسو » التى وصفها فنيلون فى رواية « تليماك » . وبذلك يعود علينا نشاطنا فنعود إلى الترجمة حتى أتممناها فى نحو أربعة أشهر . ولا أنكر أننا تصرفنا فى ترجمة الرواية بعض التصرف فكنا نحذف ما لا يتفق مع أذواقنا ونزيد بعض ما يتفق معها مراعين فى ذلك أخلاقنا وأساليب تفكيرنا ثم أعدت النظر على الترجمة فحررت عبارتها وأضفت إليها من الأشعار والأدوار الغنائية ما رأيته لازماً فى بعض فصول الرواية حتى إذا فرغت من ذلك سميتها « النجم الآفل » إشارة إلى أفول نجم « مرغريت » بالموت ، ثم عينت مع رفيق يوماً لزيارة المرحوم الشيخ سلامة فقابلنا الرجل بلطفه المعهود وأخبرناه الخبر . وأسمعته الرواية على يومين أو ثلاثة=

ثمة كتب ورسائل ليس لها هذه القيمة الأدبية .

وأهمّ ظاهرة يلاحظها المتتبعُ للحركة الفكرية فى الأقطار العربية ظهور الصحف السياسية بكثرة للتعبير عن أمانى الأمة القومية .

=فأعجبته لغة الترجمة ، ولين عبارتها ووضوح إشاراتها. ثم قال إننى منذ شهدت «سارة برنار» تمثل هـذه الرواية تمنيت او تترجم إلى لغتنا العربية ، فترجمها لى فلان ، وسمى رجلا كاملا من أدباء مصر ، فلم تعجبنى ترجمته لركاكة أسلوبها فأهملتها .. وما زال مترجمها يلح على تمثيلها إلى اليوم وأنا أتعلل وأعتذر إليه أما وقد أعجبتنى ترجمتك هذه فأنا مستعد لتمثيلها فى « دار التمثيل العربى » ثم قال : إنك لما جئتنى بخبر ترجمتها قلت فى نفسى ومن أين لهذا الشيخ المتعمم الشامى الأزهرى ، ولم أكن أزهرياً ، أن يقدر على ترجمة هـذه الرواية التى هى من أجل قطع التمثيل وأبدع ما أخرجه الفن الروائى ، عندها تقدم إليه رفيق وأخذ يساومه عليها فقال الشيخ سلامة : لكما ثلثا ما يجنى منها فى أول ليلة من ليالى تمثيلها . فقال له رفيق : ولماذا ضننت علينا بالثلث الثالث ، فأجابه الشيخ : لا يخفى عليك أن لشهرة مترجم الرواية معظم التأثير فى إقبال الجمهور عليها ، وأن مترجمها الشيخ المغربى ليس له اليوم شهرة فى مصر . فلم ير رفيق بداً من موافقته على ما قال .

ثم فارقنا الشيخ ، وأخذت فى عمـل الصحائف فكان أول ما تعاطيته التصحيح فى جريدة « الظاهر » لصاحبها الحامى المشهور محمد بك أبى شادى ثم التحرير فيها ، ثم تركت «الظاهر» إلى جريدة « المؤيد » فتوليت فيهـا تحرير القسم الدينى والأدبى والاجتماعى ، وجعلت أحياناً أنشد بعض الروايات التمثيلية فى دار الشيخ سلامة . وانتقدها على صفحـات « المؤيد » ، ولم تمض على ذلك بضعة أشهر حتى تغير وجه المسـألة الحسابية بينى وبين الشيخ سلامة فاعترف بأن لى الحق فى الثلث الباقى قائلا والثلث قليل ..

ولكن الرواية لم يجىء دور تمثيلها إلا بعد ثلاث سنين من ترجمتها فكانت أول ليلة مثلت فيها ليلة الأحد الموافق ٣ تشرين أول — أكتوبر — سنة ١٩٠٨ م . وكان الإقبال عليها عظيماً جداً حتى بلغ دخل تلك الليلة مائة جنيه مصرى. ثم أخذ الشيخ سلامة يمثل رواية « النجم الآفل » فى دار تمثيله من وقت إلى آخر ولكن فى فترات طويلة غالباً . ولما سألت عن السبب فى ذلك قال: إن الرواية من نوع الروايات العائلية التى يظهر فيها الممثلون بملابسهم الاعتيادية وأزيائهم البسيطة كما لو كانوا مجتمعين فى عائلاتهم . هذا من جهة ومن جهة ثانية فان موضوع الرواية ذو مغزى أدبى أخلاقى محض لا يفطن إلى جماله إلا أهل الفضل والأدب . وهؤلاء قلما يشهدون تمثيل الروايات فى بلادنا ، فلا يمكن للأسـواق أن تعتمد عليهم أو تعدهم من زبائنها . وإنما زبائنها الحقيقيون هم جمهـور الشعب الذى يلذه من الروايات ما كان فيه مفاجئات ووقائع عجيبات .. ومناظر مدهشات أمثـال رواية « هملت وتليماك وصلاح الدين » .. أما رواية « لادام أو كاميليا » فليس فيها ما يثير دهشة الجمهور ومعظمهم اليوم فى بلادنا من العامة=

هذا هو محصولنا الأدبي عام ١٩٢٠ ، ويرى القارىء المؤلفات التي نشرت من نتاج أيام الحرب أو بعدها بقليل . .

فما هو إنتاج عام ١٩٢١ ؟

فلنلق نظرة على محصولنا الفكرى فى ذلك العام لنر فيما إذا ازداد أم لا يزال فى سيره الوئيد .

= والطلاب وأهل الأرياف . قال : وهذا ما اضطرنى إلى الفتور فى تمثيلها . وقد رأيت اعتذار الشيخ سلامة وجيهاً ، وأكده لى ما سمعته من صديق المستشرق والأفرنسى أرتورجى قنصل دولة فرنسا فى أزمير أخيراً وكان يومئذ فى مصر فقد تعجب لما علم أنى ترجمت « لادام أوكاميليا » إلى العربية واستبعد أن يقبل الجمهور عليها فى بلادنا لما أن موضوعها أوروبى محض ولها علاقة بأخلاق الأوروبيين وطبقة اجتماعهم ، على أن نوع الحب الذى يدور عليه محور الرواية ليس مما يباح فى الشرق ولا يحسن وقعه فى نفوس الشرقيين .. ومن هنا انتقلنا إلى فن التمثيل العربى وهل ينبغى لأربابه أن يضعوا فيه رواية عربية من عند أنفسهم أو يترجموا له الروايات من اللغات الأوروبية وقد ذكرت له أن الحامل لى على ترجمة الرواية إنما هو التمرن على اللغة الأفرنسية وقد جاء تمثيلها ثانوياً . ثم إن شريكى فى ترجمة الرواية السيد إميل شيبلينى رغب إلى أن نطبع الترجمة ونبيعها على الجمهور فلم أوافقه على ذلك لبعض الاعتبارات المتعلقة بشخصى . ثم إنى بعد الانقلاب الدستورى العثمانى عدت إلى بلدى طرابلس الشام ثم نزلت دمشق فى صنى الحرب العامة. ولا أعد أعلم ماذا كان من أمر «النجم الآفل» وهل كانت تمثل فى أخريات أيام الشيخ سلامة أولا .. وهل مثلتها الأجواق المصرية بعده أولا ؟ وفى الأيام الأخيرة سمعت أن الفاضلين نقولا يترس وأحمد زكى بك ترجماها إلى العربية . وعلمت أن جوق « يوسف وهبى » و « فاطمة رشدى » مثلاها فى سورية ولبنان فلم أجد من نفسى داعياً للبحث عن « النجم الآفل » . حتى زار دمشق الشاعران الكبيران حافظ إبراهيم وخليل بك مطران فسألت الثانى منها عن الرواية وهو بها جد عارف وبأخبار الشيخ سلامة جد خبير . فقال : إن الرواية أهملت لعلو أسلوبها . وقد أصبح للمسرح لغة خصوصية أقرب إلى فهم الجمهور . فقلت : وهل أن لغة المسارح اليوم أسهل وألين لغة من لغة النجم الآفل ؟ وتمنيت لو أعلم ما هى لغة المسرح اليوم ؛ لأنى لم أشهد تمثيلا عربياً منذ ربع قرن أى منذ عدت من مصر إلى سورية . هذا ما حفزنى إلى كتابة هذه الرسالة مستطلعاً أرباب الفن التمثيلى بشأن ما قاله الشيخ سلامة والمسيو جى من أن الرواية ثانية أوروبية الموضوع مع أنى قرأت فى الصحف السورية وصف إقبال الجمهور على استماع رواية « غادة الكاميليا » فهل الجمهور السورى والمصرى ارتقى عما كان عليه حاله منذ ربع قرن فمال إلى الروايات الأدبية العائلية وهو كذلك فى الغالب ؟ أو أن اللغة المسرحية التى أشار إليها شاعرنا المطران أصبحت من السهولة بحيث تجتذب الجمهور إلى شهود المسارح ، أو أن الجذب لم يرجع إلى حالات خاصة تتعلق بمناظر المسرح وبراعة الممثلين والممثلات وتأنقهم فى الزينة والأزياء .

مجلة « الحديث » العدد التاسع السنة ٣ ص ٦٠٩

لعلّ أبرز كتاب أدبى صدر فى ذلك العام (١٩٢١) هو كتاب الدكتور أحمد ضيف (مقدمة لدراسة بلاغة العرب) وهو كتاب قيّم عرض فيه عرضاً موجزاً للحركات الأدبية الحديثة وطرق فهم البلاغة ، كما عرض للأذواق الأدبية ولفن النقد عند العرب وعند الافرنسيين .

كما صدر للمستشرق الإنكليزى نيكلسون كتاب له علاقة بأدبنا ؛ فقد اختار من اللزوميات طائفة صالحة من شعر أبى العلاء وترجمها إلى الانكليزية وجعلها فى أربعة أبواب وهى : ١ — الموت والحياة . ٢ — الجمعية الإنسانية . ٣ — الزهد . ٤ — الدين . وهذا الكتاب وإن لم يكن من إنتاجنا الأدبى إلا أنه وثيق الصلة بحركتنا الأدبية المعاصرة .

وأصدر الأستاذ محمد لطفى جمعة كتاب « مائدة أفلاطون » وهو عبارة عن محاورة دارت فى وليمة بين بعض المفكرين على الحب وأنواعه . وفيها تتجلّى صورة من صور التمدن اليونانى ومجتمعاتهم ، مع مقدمة طويلة ودراسة مسهبة عن الفلسفة اليونانية . .

وترجم الدكتور طه حسين ، وكان يدرّس فى الجامعة المصرية التاريخ القديم وتاريخ اليونان بصورة خاصة — ترجم (نظام الآتنيين) لأرسطو طاليس ، وهو كتاب تاريخى يصف أول عهد آتينا بالحياة السياسية ويصف نظام الحكم والحياة النيابية ، والنضال العنيف بين الديموقراطية والأرستوقراطية ، وقد قدمه بمقدمة طريفة عن أرسطاطاليس ومذاهبه الأدبية فى الفلسفة والحياة . .

وكأنما قد أخذ أساتذة الجامعة المصرية على عاتقهم أن ينـذّوا ذهن القارىء العربى بنتاج محصولهم الدراسى فأصدر الدكتور محمد حسين هيكل ، وكان أستاذاً فى الجامعة ، كتابه النفيس «جان جاك روسو : حياته وكتبه» فرسم صورة واضحة لروسو منذ بدء نشأته إلى أن طواه القـدر . . فأرانا هذا الشاب المتشرّد الذى أنكرته بيئته فهاجر فى سبيل تعاليمه التى كانت تتلخص فى أن الملكية الخاصة والترف والإمعان فى الشهوات هى سبب كل التعاسات المكدسة على رؤوس

ملايين الفقراء والتى يحتملها الشعب حين طال إيهامه من أنها أصلح الأنظمة للوجود الاجتماعى . وأنه لا سبيل لتخليص الأغلبية من هذا الشقاء إلا بعودة الإنسانية إلى حالتها الطبيعية . وأن ذلك يقضى حتماً إلى « هدم نظم التربية من أساسها ليحلّ محلها نظام طبيعى قائم على فكرة استقلال الفرد فى حكم البساطة الطبيعية ، وهدم النظم الأساسية المبنية على أساس من الأثرة والملكية الخاصة . والتحكّم والاستبداد لتحلّ محل ذلك كله « الجمهورية الاشتراكية » القائمة على أساس من التعاقد الحرّ بين جميع أفراد المجتمع .. مع هدم كل الفوارق الصناعية التى أقامها التحكّم والارهاق بين الناس والذى ينتهى إلى أن الفطرة الطبيعية هى القائد والمرشد فى كل حال » .

ثم تحدث عن حياته فى عالم الأدب وخطاب العلوم والفنون وخطاب التفاوت وكتاب المناظر .. وشرح عوامل انقطاعه للأدب والتأليف حتى ظهرت كتبه الكبرى : جولى والتربية والعقد الاجتماعى . وقد أشار خلال حديثه إلى أيام الاعتقال وكيف فرّ من باريس وكيف طورد فى مختلف الممالك بسبب هذه الكتب التى أصبحت فيما بعد تاج مجده وموضع فخر فرنسا ... وقد عرض فى الجزء الثانى صورة من هذه الكتب عرضاً شاملا ووعد أن يتناول فى الجزء الثالث ردوده على منتقديه ، وأن يعرض بالبحث والتحقيق آراءه فى كتاب « العقد الاجتماعى » و« الاعترافات » و « الأحلام » . ومرّت عشرون سنة ، وصدر للدكتور هيكل أكثر من كتاب واحد ولم يصدر تتمة هذا الكتاب النفيس الذى كتبه بتفكير المحامى المشبع بأحدث نظريات الحق العام وبشعور الأديب الزاخر الاحساس الذى يؤلمه أن لا يسبح وطنه والشرق فى نعيم الحرية .

* * *

وصدرت الطبعة الثالثة لـ « نظرات » المنفلوطى ، ورواية « الشاعر » لسيرانو دى برجراك منقولة إلى العربية بقلم المنفلوطى عن نص عربى تمثيلى وضعه الدكتور محمد عبد السلام الجندى ، و « السراب » للأميرة قدرية حسين تضمنت الرسالة خواطر لطيفة فى مواضيع إجتماعية خلقية ، و « ابتسامات ودموع »

أو الحب الألمانى لمكس مولر ، وهى قصة عنيفة ترجمتها عن الألمانية الآنسة مى ، و « حكايات المهجر » لعبد المسيح حداد . والجزء الثانى من ديوان أحمد رامى — الملقب بشاعر الشباب وشاعر أم كلثوم — و « ماجدولين والشاعر » لخير الدين الزركلى .

ونشرت جمعية «الرابطة الأدبية» بدمشق مخطوطة « معانى الشعر » لأبى عثمان الأشناندانى أحد أئمة اللغة، وذلك بتحقيق رئيس الرابطة الشاعر خليل مردم بك.

وصدر كتاب «أصول الفلسفة» لأمين واصف ، و «الديوان فى الأدب والنقد» للأستاذين العقاد والمازنى . وقد حملا على أمير الشعراء أحمد شوقى أو على طريقته ومنهجه فى الشعر — حملة قاسية . وقد سلكا مسلك النقاد القدامى ومنهج الدراسة الحديثة فى النقد . واعتبر العقاد شوقى أنه مقلد للقدماء تقليداً يلغى شخصية الشاعر. وأنه يعنى بالأعراض دون الجواهر . ويهتم بالأحاسيس الظاهرة دون أحاسيس النفس الباطنة ، وأن طاقته الشعرية المحدودة لا تمكنه من التحليق فى عالم الأفكار الانسانية الخوالد ! . .

* * *

ومن الكتب التى صدرت فى هذا العام « أسارى مالطة » وهى خواطر بقلم على فهمى خليل ذكر فيها معاملة الأسرى فى مالطة . وعرّب الأستاذ أحمد رفعت « مذكرات لينين عن الحرب الأوربية : ماضيها وحاضرها » وصدر « النبوغ » للكاتب اللبنانى لبيب الرياشى و« مختارات جرجى زيدان » و« ديوان «الشذرات» للشيخ مهدى البصير البغدادى. والجزء الثالث من ديوان العقاد . ومقدمة لدراسة لغة العرب لأحمد ضيف .

* * *

هذا . وقد حفل هذا العام ببعض كتب لها علاقة بسياسة الشرق العربى فأصدرت الكاتبة الأمريكية مرغريت جيلفارى كتاباً بالانكليزية عنوانه «فجر عهد

جديد فى سورية[1] ، وهو يتناول تأثير دخول أمريكا الحرب على سورية سنة الأهوال ١٩١٧ ، الساعة المظلمة ، قبيل الفجر ، تحرير سورية ، وحين تذكر المؤلفة سورية ، تريد بلاد الشام بمدلولها الجغرافى : فلسطين ، لبنان ، سورية . وهذا الكتاب وإن لم يكن من إنتاجنا الفكرى إلا أن له صلة وثيقة بفترة من أوضاع بلاد الشام سياسياً وقومياً ، لذلك رأيت أن أشير إليه إشارتى إلى كتب المستشرقين ، والكتاب وإن كان قد كتب للجمهور الامريكى فإن العربى يجد لذة عظيمة فى مطالعته كما أشار بعض الكتاب ، فقد أحاطت المؤلفة بالموضوع من كل جانب فوصفت الحالة فى سورية وفى تركيا عموماً عند نشوب الحرب وأثناءها ، وأفاضت فى تحليل الحالة النفسية والاقتصادية والاجتماعية ، معتمدة فى كل ذلك على ما شاهدته بعينها أو خبرته بنفسها . وما اتصلت بها من الثقات الذين ركن إليهم . .

ومن المؤسف أن يصدر هذا الكتاب الذى له علاقة مباشرة بأدق ناحية من تاريخنا السياسى خلال الحرب العالمية الكبرى ولا يتصدى أحد من أدباء الشام لترجمته . .

كما صدر كتاب «مفاوضات الإنكليز بشأن المسألة المصرية» لأمين بك الرافعى وهو كتاب قيم تنبثق من سطوره روح الوطنية الحقة ، وأمين الرافعى من رجالات مصر وأكبر محق نصّب نفسه لتحطيم طغيان الإنكليز فى مصر .

وصدر لحنا خباز كتاب « حول الكرة الأرضية » وهو انطباعات ذاتية عن رحلته إلى الهند والصين واليابان وجزر الفيلبين وأمريكا . .

كما نشر من الكتب القديمة كتاب «الفخرى فى الآداب السلطانية لابن الطقطقى» . وكتاب (الكتّاب) لأبى محمد بن جعفر الشهير بابن ديتويه وهو مخطوط قيم

---

(١) The Doutin or new in Sjrioc 137, Maurgrit Megilnary.

نشره الأب لويس شيخو اليسوعى عن نسخة مخطوطة من مخطوطات المكتبة الشرقية فى لندن ، وقد نسخها الأديب الحلبى رزق الله حسون سنة ١٨٧٥ حين كان منفياً فى لندن .

وطبع فى دمشق التاريخ الكبير لابن عساكر بإشراف المكتبة العربية .

كما نشرت لجنة جب التذكارية كتاب « تجارب الأمم » لابن مسكويه ، عن نسخة وجدت فى أياصوفيا بإشراف المستشرقين آمدروز ومرغليوث . .

° ° °

هذه هى أهم الكتب التى صدرت فى هذين العامين ، وهى وإن كانت ليست ذات أثر فى تاريخنا الفكرى إلا أنها تدل على أن الإنتاج بدأ سيره الوئيد ، وهذا ما أشار إليه الدكتور هيكل فى معرض كلمة عن كتاب « صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان » فقال : « ما أقلّ ما يظهر فى عالم الأدب من الكتب القيمة المؤلفة أو المترجمة . وما أشدنا فى مصر إلى هذه الكتب القيمة احتياجاً ، وإذا كان لنا أن نعود باللائمة لهذا الفقر على أحد فأكثر الناس استحقاقاً للوم أولئك الذين عهد إليهم فى العصور الأخيرة بواجب القيام بإيفاء الأمة حقها من العلم والأدب فقصروها على علم الصنائع والحرف وتركوا روحها بذلك لحمة وعقلها راكداً . فلم تستثر حمية مؤلف ولا همة كاتب[1] » .

فهل الأعوام المقبلة أخصب بالإنتاج من الأعوام التى انقضت ؟

سنرى . .

---

(١) فى أوقات الفراغ ص ١٨٢